استراتيجية بناء النص الأدبي وآلياته القرائية

literary Text building strategy and reading mechanisms

حليمي فريد

المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة ، الجزائر، halimifarid99@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/04 تاريخ القبول: 2022/05/24 تاريخ النشر : 2022/06/04.

ملخص: تبحث هذه الدراسة في مفهوم النص وعلاقاته، كما ترصد أنواعه، لتستقر على تحديد ماهية النص الأدبي وتمييز حدوده الأنطولوجية الدلالية، مع رصد أنواع القراءات والاستراتيجيات التي تمكن من ولوج عوالم النص وفهم دلالاته وقوفا عند جملة من المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بالنص وآلياته القرائية

كلمات مفتاحية: النص ، القراءة ، المفاهيم ، الآليات ، الاستراتيجية

Abstract: This study aims at investigating the concept text and its relations. It also states its types to determine what a literary text is and distinguishes its ontological and semantic restrictions In addition It sheds light on the types of readings and strategies that clarify the text and facilitate understanding its implications concept and terms related to it and its reading mechanisms

Keywords: Text، reading، understanding ،mechanisms the strategy.

1. مقدمة:

تنطلق الدراسة للبحث في البدايات التداولية لمصطلح نص أو texte في الثقافة الغربية عبر التاريخ حيث الإشارة إلى مصطلح "تحليل النص" و" تفسير النص" من خلال الدارسات اللغوية ثم الانتقال إلى ذلك النضج المنهجي حيث تبلور هذا المفهوم عبر علم خاص أسسه البروفيسور "فان دايك Van Digk" وبعد الإشارة للإرهاصات الأولى لهذا العلم وقوفا عند رائده تجدر الإشارة إلى التمييز بين "النص" و"الخطاب" وذكر مختلف الجهود التي اشتغلت في هذا الحقل المعرفي، ثم البحث في أهم السمات اللسانية التي تميز النص وتصبغه بالنصية بداية من السمات اللسانية وقوفا عند أهم الآراء حول مفهوم النص وسماته التي تتقاطع ضمنيا مع الحدود الفاصلة بين النص والخطاب أو التي تجمع بينهما في مفهوم واحد.

ثم البحث في السياق وعلاقته بمفهوم النص، وقوفا عند أنواعه ووظائفه لينتقل البحث نحو حدود النص الأدبي وأهم مكوناته مرورا إلى مقروئيته وآلياتها الحداثية التي تروم سلطة القارئ والتأويل وقوفا عند تيار التأويل والاحتمال كما سماه – محمد مفتاح– وتيار الفلسفة الظاهراتية الألمانية.

ومع تحديد النص ومقروئيته نطرح قضية فهم النص التي بدورها تطرح قضية عدم فهمه حيث الإشارة إلى أنواع النصوص من حيث مقروئيتها كالنص الواضح والنص البين والنص الظاهر....

ثم عرض أنواع القراءات والاستراتيجيات لمقاربة النصوص نحو الاستراتيجية التصاعدية والاستراتيجية التنازلية والاستراتيجية الاستكشافية...

لتختم الدراسة بالبحث في حدود النص أي من أين يبدأ ؟ وإلى أين ينتهي ؟ مع شرح لجملة من المصطلحات ذات الصلة نحو التنصيص والنصوصية وفضاء النص، واللانص والشبيه بالنص، والنصنصة والتناص.

وفق منهج وصفي تحليلي في رصد وتتبع مفهوم النص وآلياته القرائية اعتمادا على جملة من المراجع التي تعتبر عمدة في مقاربة هذا الموضوع نحو :

- بول ريكور : من النص إلى الفعل
- تون فان دايك : علم النص
- جوليا كريستيفا : علم النص

2. مفهوم النص ومرجعياته التأسيسية:

عُرف مصطلح "النص textus" في الثقافة اللاتينية وهو مأخوذ من الفعل "texére"[1]حيث يأخذ معنى "النسيج" بما توحي به هذه الكلمة في المجال المادي الصناعي فالنسيج يكون من السّدى واللّحمة، والمنوال، أمّا "النص" فمن الحروف والكلمات المترابطة والمتماسكة كقطعة قماش منسوجة لذلك فمعنى "النسيج" يمثّل الشكل الخارجي للنص أمّا المضمون فيأخذ معنى "الوثاق" وليكون الملفوظ نصا يجب أن يشتمل على معاني قارة وحقيقية ونهائية يمكن بلوغها والإلمام بها. وهذا ما ينتج عنه نصوص مختلفة التخصّص من دينية، قانونية تعليمية غايتها تثبيت المعلومات وتأصيل المتعارف عليه وترسيخ السلوك وبالتّالي يصبح كل مكتوب يشتمل على هذه الصفات نصا سواء كان جملة أو فقرة في كتاب فهو مثلما يقول "فرانسوا راستيي" «ذو وظيفة مؤسسية في المجتمعات التي تعتمد على القانون المكتوب، وفي الديانات التي ترتكز على الكتب المقدسة»[2]، وعليه فظهور المصطلح، والمفهوم كان شديد الارتباط بالديانة، وبالكلام الإلهي وبالكتابة، لذلك لطالما ارتبطت هذه الكلمة بالنصوص المقدسة، فكلمة نص في الثقافة اللاتينية تعني « المقطع من الكتاب المقدس الذي يفتح به واعظ موعظته والذي يشكل مصدر إلهامه الأول»[3]. ومن هنا ارتبط

ظهور المصطلح –النص– بظهور عدد من المؤسسات في المجتمع البشري نحو ظهور الكتابة باعتبارها قيدا وضبطا لكل منطوق، فوظيفتها الحفاظ عليه من الضياع، أو التحريف، فبات النص مطلبا، وحاجة للعديد من التخصّصات والمجالات[4]، ولمّا ارتبط بالموروث الديني والنصوص المقدسة كان حضور "فقه اللغة" أو "الفيلولوجيا" ضروريا فصار النص هو رهان الفيلولوجيا الأول[5] ومادته الخام.

وعليه فإنّ مفهوم النص، مثلما قال "رولان بارت" «يرتبط تاريخيا بعالم بأكمله من النظم في القانون، والدين، والأدب، والتعليم»[6]، لكن مع بدايات الدراسات الحداثية وبتغيّر الإجراء، ارتبطت "ممارسة النص" بالمناهج النّسقية التي تشتغل على النص في حدوده الأنطولوجية، وذلك باستثمار ما توصّلت إليه اللسانيات والسيميائيات، وما أفرزه المنهج البنيوي من أدوات، ومفاهيم تمكن من التحليل حيث تنظر هذه المناهج إلى النص باعتباره الوسيلة والغاية في الآن نفسه[7]، فكان له بذلك مفهوم ووظيفة تعكس المبدأ، والمنطلق، فارتبطت الدراسات البنيوية بقضايا الظهور، والشكل والبنية، ولعلّ أبرز هذه الخلفيات تركيز الاهتمام على "الكتابة" وفي هذا الصدد يعرّف "رولان بارت" النص قائلا «إنّه السطح الظاهري للإنتاج الأدبي بنسيج الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بحيث تفرض شكلا ثابتا، ووحيدا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا»[8]، فالملاحظ لهذا يجده تعريفا لغويا صرفا لا يتعدّى الشكل الخارجي، والظهور المرئي للنص الذي يجسّد ظاهرة أدبية ما، لذلك يقول في السياق ذاته «ليس النص في نهاية الأمر إلاّ جسما مدركا بالحاسة البصرية (...) لكنّه ضروري يشاطر الأثر الأدبي حالته الروحية وهو مرتبط تشكيلا بالكتابة»[9]، وهذا امتداد يحيل للأصول اللغوية للنص لأنّه يعتبر النص مجموعة خطيّة من العلامات اللغوية تهدف إلى إنتاج دلالة محدّدة ومقصودة من خلال أثر معين وهي رؤية تقلص نظرية النص إلى النموذج النحوي للجملة[10] الذي يكتفي بالوصف الإعرابي.

نستنتج ممّا سبق أنّ الاهتمام بالنص بالغ في القدم خاصة في الدراسات اللغوية حيث ظهر مصطلحا "تحليل النص" و"تفسير النص"، أين انصبّ الاهتمام كلّه على النصوص الأدبية فقط «إلى أن حان عقد السبعينات فأسس البروفيسور "فان دايك" "van digk" علم النص الذي استوحى أدواته من المعارف الجديدة مثل السيميائيات، واللسانيات، والنحو التوليدي، وبذلك بدأ يتأسّس هذا العلم تدريجيا»[11]. لكن قبل هذا تعود الإرهاصات الأولى لهذا العلم مع بداية النصف الثاني من هذا القرن حيث أنجز "هاريس" دراستين في مجال اللسانيات الحديثة كانتا تحت عنوان "تحليل الخطاب"، أمّا "فان دايك" فهو الذي وضع تصورا كاملا "لعلم النص" منذ بداية 1976، حيث تخطّى الآراء التي كانت مطروحة حول هذا العلم محاولا تسطير مفاهيم جديدة، وذلك من خلال كتابه "بعض مظاهر نحو النص" وقد قارن بين الخطاب، والنص في معنى واحد، وفي عام 1977،و من خلال كتابه "النص والسياق" فصل المفهومين، وفرّق بينهما ليربط دراسة النص بالأبعاد البنيوية والسياقية، والثقافية[12]، «إذ إنّه استطاع أن يخرج من دائرة التأمّل الفلسفي والتطبيقات الفجّة إلى التجريب العلمي، وقد اعتمد على اللسانيات البنيوية وتحديدا على النحو التوليدي مصبا اهتمامه على علم قديم هو البلاغة التي اتّخذ منها نموذجا لبناء علم النص»[13]، لذلك "فعلم النص" علم متداخل التخصصات له مرامي وأهداف وتتمثل مهمته مثلما يقول –صلاح فضل– في رصد العلاقات الداخلية والخارجية في النصوص عبر مستويات مختلفة، وتتبّع وظائف اللغة في مختلف الاستعمالات لذلك يتعدّى حدود التخصّص الواحد إلى مختلف العلوم[14]، ولهذا يقول "جان لونيز" «فقضيته الكبرى هي تحديد القواعد الكبرى التي تعترف للنص بنصّيته»[15]، ويطمح "علم النص" بهذا إلى هدفين رئيسين: يتمثّل الأول في القدرة على تحليل كل أنواع النصوص سواء كانت أدبية أو علمية حيث إن تحقيق الهدف الأوّل يوصل للهدف الثاني، وهو طابع الشمولية أين يصبح متعدد الاختصاصات[16]. وعليه يصبح هذا العلم «أكثر المناهج المعاصرة تبلورا وإفادة من المقولات السابقة عليه واستيعابها لإدراجها في منظومته العلمية بعد أن كانت مثبوثة في أشتات مبعثرة»[17]، أي إنّ هذا العلم حاول بوعي،

ونضج علميين احتضان شتى المناهج النقدية السابقة والمعاصرة له، واستثمارها في مقاربة النصوص، وتحليلها، «فهو التحليل العلمي الإمبريقي الذي يتناول مستويات النص بالتحليل والدراسة»[18]، لذلك فمفهوم ووظيفة "علم النص" أشمل وأوسع ممّا كان يستعمله الدرس النقدي من مصطلحات نحو "تأويل النصوص" أو "تحليل النصوص" ناهيك عن اهتمامه بشرح كيفية قيام النص بوظائفه.

وللأمانة العلمية لا يمكن الاكتفاء بذكر "فان دايك" فقط باعتباره مؤسسا لـ"علم النص"، فهناك العديد من اللغويين ممّن اهتّموا بـ"علم النص" وألّفوا فيه أمثال: "ستمبل Stempel" و"هارفج Herveg"، "جليسون Gleason" و"شميث Schmidt"، "دريسلر Dressler"، و"بركنر Brinker"، ويعتبر "روبرت دي بوجراندRobert de Bedgrande" اللغوي المتمرس والأكثر نضجا في اشتغاله على موضوع "علم النص" حيث انتقل من حيث انتهى "فان دايك" مشيدا بجهوده حاملا المشعل من بعده، فشكّل نظرية متكاملة، وقد ظهر هذا التمييز من خلال كتابيه "مدخل إلى لسانيات النص" "introduction de textuale linguistique"، وكتاب "النص والخطاب، والإجراء" "texte-discoure and process"[19] فكان بحق منهجي الطرح عميق الدراسة.

3. خصائص ومميزات النص الأدبي:

تختلف مقاربة النص الأدبي عن باقي الأنواع، لأنّه يتميز ببنية معقدة تشتمل على جملة من المستويات التي لا يمكن بلوغها دفعة واحدة لذلك لا يمكن اعتبار النص الأدبي «مجرد ممارسة متعينة للنص اللغوي، بل هو رسالة ناجمة عن نظام محدّد من المفاهيم، والشفرات»[20]. لهذا يحدّد الباحث الروسي "لوتمان" النص الأدبي في ثلاثة مكونات:[21]

1.3: التعبير:

يمتلك النص الأدبي لغة خاصة تتجلّى من خلال العلامات اللغوية والشفرات الأدبية التي تحيل إلى مستعمل معين.

2.3 : التحديد:

ينتقل النص من بداية إلي نهاية، يشده خيط متين حيث لا يمكن تجزئة النص وفصل وحداته، فالنص تحقيق لوظيفة ثقافية محدّدة، ينقل دلالة كاملة غير منقوصة كما أنّ حدود النص لا ترتبط بالطول أو القصر بقدر ما ترتبط بالسياق التداولي والوظيفي لهذا النص فقد يكون بيتا من قصيدة أو مائة صفحة من رواية ومن سمات الحدود النصية "العنوان" هذا الذي ينقل للقارئ دلالات ثرية تعتبر جوانب أساسية لمعرفة النص.

3.3 **الخاصية البنيوية:** وهي مكوّن مرتبط بالتحديد، فبروز البنية شرط أساسي لتكوين النص لأنّه لا يمكن اعتبار النص مجرّد متوالية من الفقرات، فكل تنظيم داخلي يحيل إلى تشكيل فني معين وخاص بكل نص...

وإن كان هذا الطرح في حدود معيّنة إلاّ أنّه يعطي النص الأدبي خصوصية ما تسمح له ليكون أرضية خصبة وميدانا رحبا لنظرية أو علم يسُنّ القواعد، والقوانين لمقاربته وتبيين وظائفه، ومن هنا كان لزاما رصد الفرق بين "علم النص "ونظرية الأدب" أو "علم الأدب".

فـ"ميدان "علم النص" يعد «أكثر عموما من ميدان علم الأدب لأنّ هذا الأخير لا يهتم مبدئيا إلاّ بالنصوص الأدبية»[22]، وعليه يتّسم "علم النص" بالشمول، أي إن مقاربة النصوص الأدبية هي واحدة من مهامه التي لا يمكنه إنكارها ولا تفاديها لهذا يرى "جان ماري سشايفر " في هذا المقام أنّه على أي نظرية للنص تريد إثبات هويتها وجدواها أن تعالج ست نقاط مركزية لمقاربة النصوص الأدبية، وهذه النقاط هي:[23]

أ- الاتساق: وهو تماسك تحقّقه الأدوات الكلامية التي تسيّر العلاقات المتبادلة بين الجمل وداخل الجملة في حد ذاتها، وخاصة دورها في الحفاظ على التوازي رغم الاستبدالات التركيبية التي لا تخرج عن الموضوع أو المعنى.

ب- الانسجام: وهو ما يحقق الدلالة الملائمة والمكيّفة مع الأداة اللسانية فبينهما توافق وائتلاف فهذا يؤدي إلي ذلك.

ج- القصدية والقبول: وهذا معيار يفرضه المبدأ التداولي، فإذا كان النص متداولا فقد مرّ على شروط أهّلته ليقبل بين المتواصلين، وهذا تواصل مبني على قصدية معيّنة.

د- الاختلاف الجنسي: يعتبر الجنس الذي ينتمي إليه النص هويته التي لا يمكن إنكارها ولا تجاهلها أثناء التحليل النصي، فبمجرد "قراءة النص" نستشعر جنسه، وخصائصه الشكلية كما يمكننا التنبؤ بنهايته.

هـ- شعرية النص: فلكل نص تكوين خاص لا يمكن سحبه على باقي النصوص وإن كانت نصوص نموذجية فلا بدّ من إدراك الخصائص والسمات المنفردة في النصوص، وذلك في الخطابين الشفوي والكتابي.

ومنه نستنتج أنه لكي يكون النص أدبيا يجب أن يتميز حيث تكون الصفة الأساسية فيه هي «أن يكون حدثا استثنائيا لا تكرار لغيره من النصوص، وهو النص الذي يخلخل القيم النصية السائدة ويعيد إنتاج المألوف والعادي»[24]، ولتحقيق هذه القيمة في النص الأدبي لابد أن يخرج من النظرة الأحادية التي تضيق مساره الدلالي لتبحث عن معنى وحيد يمثل الحقيقة إلى الانفتاح والتعدّد، فيكون الهدف مثلما يقول "رولان بارت": «هو التوصل إلى أن نتصور ونتخيل، ونعيش تعددية النص وانفتاح دلالته»[25]، وعليه ولّى زمن المعنى الواحد والحقيقة المطلقة في النص وجاء زمن القارئ وسلطة القارئ إنها سلطة تنسحب أساسا على مفهوم النص ووظيفته، فصار للبحوث السيميولوجية الحديثة دور فعّال في تحديد مقاربات النص دون الاكتفاء بالوصف اللغوي المباشر لأنه يمثّل تحديدا لمستوى واحد من مستويات

الخطاب، حيث يقتصر على ما تدل عليه مقولاتها[26]، ومن هنا فلا يمكن اعتبار النص معطى ثابتا. وقار الدلالة، فلكل نص ظروف خاصة، فالملفوظ الواحد قد ينتقل عبر مؤشرات خارجية كثيرة من شأنها توجيه المتلقي نحو دلالات جديدة لذلك يتّسم النص بالنسبية وهذه النسبية تفرض «توسعا لفضاءات التفكير بالتلقي والتأويل»[27]، ومن هنا يتبيّن لنا أنّ النقد الغربي مرّ عبر تيارين أساسيين لتحديد مدلول النص حيث كان أساسهما هو معرفة حدود التأويل والاحتمال– كما سماه محمد مفتاح– ويمثل التيار الأول رواد ما بعد الحداثة نحو "جوليا كريستيفا" و"رولان بارت" و"ميشال فوكو" و"جاك دريدا" وآخرون، وتتمثل مبادئ هذا التيار في الانتقال بمفهوم النص من كونه موجودا ذا معنى قار يعكس الحقيقة إلى بنية متعددة القراءات، والدلالات مفتاح فكّها بيد القارئ، كما أن النص مجموعة نصوص متداخلة، ومتأثرة ببعضها البعض تنم عن خلفية ابستيمولجية، وتاريخية، ولغوية وغيرها من الخلفيات أما التيار الثاني فهو تيار يمثله فلاسفة الظواهر الذين تمركزوا في ألمانيا، ومنهم "شلايدرهاخر" و "هايدجر" و"كدمير" و"الكاردون"، وقد كان لهؤلاء صدى وصل إلى مؤسسي نظرية التلقي "ياوس" و"آيزر" وغيرهما ومنطق هذا التيار هو قطع الصلة بكل طرائق التفسير القديمة، وفقه اللغة التقليدي ليفسح المجال للذّات القارئة لتعتمد على حواسها انطلاقا من ظاهر النص نحو اكتشاف بنية دينامية عميقة.

وعموما فإن هذين التيارين لا يختلفان بقدر ما يشتركان، فإعلان القطيعة واعتبار النص تلاق لمجموعة من النصوص، وإحلال سلطة النص مكان سلطة المؤلف وموت الاستقراء والاستنتاج كلّها قواسم مشتركة بين التيارين[28]، وبهذا صار للنص عالم تصفه القراءة التأويلية مثلما يقول "بول ريكور" «ما يؤول في نص من النصوص هو اقتراح ما للعالم كما يمكن لي أن أقيم فيه لكي ألقي فيه واحدة من أخص ممكناتي هو ذا ما أسميه عالم النص»[29]، ويربط "بول ريكور" هذه العملية بتلك النقلة من الشفوي إلى الكتابي لأنّ المرجعيات الثقافية، أو النفسية أو الاجتماعية –حسبه– مرتبطة بالخطاب الشفوي، وحين يحوّل هذا الخطاب إلى نص أي ينتقل من المشافهة إلى الكتابة تشوّه هذه المرجعيات لأنّ

الخطاب الشفوي في الغالب يكون منتوجا آنيا بين متحاورين؛ أي تفرزه ظروف متشابهة ممّا يمكّن المتحاورين من فهم واستيعاب هذه المرجعيات ببساطة، لكن الكتابة من شأنها بتر هذه الصلة، والخروج عن اللحظة التي ينتج فيها النص، وبالتالي يفتح المجال للقراءات المتحررة من المرجعيات[30]، أي «إنّه بفضل الكتابة يمكن لـ"عالم النص" أن يشظّي عالم الكاتب»[31] ويسبر أغواره.

4. فهم النص وآلياته القرائية :

ومن القضايا التي تواجه المتلقّي أو القارئ قضية "فهم النص"، وهذه القضية مثلما يقول "زتسيسلاف واورزنياك" هي «عمليات امتلاك النص التي يشترك فيها كل شركاء التواصل، أي المرسل والمستقبل أيضا»[32]، وبالتالي لابدّ من استراتيجية محكمة في قراءة النصوص لأنّ "فهم النص" يحيلنا إلى قضية أخرى هي "عدم فهم النص"، فالقارئ للنص قد يخرج فهمه إلى نوعين: **فهم أدنى، وفهم أعلى** حيث يكون "الفهم الأدنى" فهما ناقصا أو مختلفا أمّا الفهم الأعلى، فيكون بتحميل النص معاني إضافية لا قِبل له بها.

لذلك ففهم النص يتطلب عوامل متداخلة ومساهمة في عملية إنتاج النص[33]، وفي هذا السياق يشير "محمد مفتاح" إلى المنهجية النقدية المتكاملة لمقاربة النصوص باعتبارها موجودا مستقلا بذاته ذا انتظام داخلي خاص –وإن كانت دراسته تقتصر على الشعر– وتستند مراحل هذه المقاربة على "الدليل" "المدلول"، "الدال" و"التدلال"، و"المرجع[34]، وهذه مجتمعة تلخّص علاقات النص مع كل الأسس التي تبنيه والتي تمثّل التناص في أدقّ معانيه، حيث إنّ رصد هذه العلاقات لا يتأتى إلاّ باستثمار آليات القراءة والتأويل، فالدليل في النص مثلا درجات تتباين فيها دلالة النص، فقد تكون الدلالة واضحة لا تقبل التأويل، فيكون "**النص الواضح**" أو تكون أقل وضوحا أين يدرك المعنى من خلال "نص العنوان" و"الحقل المعجمي"، فالعنوان مثلا قد تنفتح دلالاته على معانٍ شتىّ لكن سرعان ما تبين الدلالة المقصودة عند قراءة النص، ويسمى هذا بـ"**النص البيّن**"، وبمجرد هذا التبيان يظهر

معنى واحد يطفوا على السطح فيكون "**النص الظاهر**"، وقد تظهر دلالات لكنها غير مُقصودة، وتعتّم الدلالة المقصودة عن طريق الاشتغال باللغة خاصة الدلالة الجنسيةَ ويسمى هذا الذي يراوغ ثم يبين "**النص المحتمل**"، وتمشي الدلالة من الوضوح نحو الغموض لتصل درجة التعمية أين يفتح النص أبوابا تشعّ بدلالات كثيرة لها عديد المؤشرات المتداخلة التي يتيه القارئ في دهاليزها، ومكمن هذه الدلالات في "**النص العمي**"[35]، وعليه مثلما قال "زتسيسلاف" «ليس فقط كل سماع وقراءة هما سماع فهم، وقراءة إدراك بل يجب أن تُعدّ ما تسمى الأنشطة المنتجة (الكلام والكتابة) أنشطة محّددة بالفهم»[36]، دون إقصاء العامل الاجتماعي والثقافي، ولهجة الناص، وزمن النص.

تستند قراءة النص لجملة من الآليات والاستراتيجيات، جمعها "محمد مفتاح" في أربع آليات تمرّ عبر النص من الجزء إلى الكل، ومن الكل إلى الجزء، ومن الخارج إلى الداخل، ومن الداخل إلى الخارج، حيث إنّ الاستراتيجية التي تبتدئ من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة، إلى الجملة التي تليها حتى بلوغ النص تسمى "**الاستراتيجية التصاعدية**" وهي انتقال من الجزء إلى الكل، أمّا "**الاستراتيجية التنازلية**" والتي تنتقل من الكل إلى الجزء فهي قراءة إحالية، فقد تحيل البداية إلى النهاية والعنوان يحيل بدوره إلى باقي الأجزاء، والمكوّنات، وعبر هذه الممرات الخارجية تبدأ عملية البحث عن المعنى، أو ما يعتقد القارئ أنّه ميناء قراءة معينة تمكّنه من مبتغاه وهذه "**الاستراتيجية الاستكشافية**"، أمّا الاستراتيجية الرابعة فهي استراتيجية تعتمد على ما وصلت إليه "**الاستراتيجية الاستكشافية** «لأنّها تقيس على ما وصلت إليه من تأويل وتطبّقه على ما شابهه من مُعطى في النص قريبا كان أم بعيدا، وتسمّى هذه الاستراتيجية بـ"**الاستقياسية**"»[37]. ورغم تباين الاستراتيجيات لفهم النص يبقى الجامع بين هذه الاستراتيجيات هو الإحاطة بالبنية العميقة للنص، لأنّها تمثّل جوهر المقاربة النصية فمن خلالها يتحقق التماسك الدلالي كما تمكّننا من اختصار النص في ملخص، أو في "عنوان"، وتسهّل عملية محاكاة النص أو مطابقته كتحويل نص روائي إلى عمل سينمائي مثلا[38].

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى الناقدة البلغارية "جوليا كريستيفا" لتبنيها المنهج السيميائي في مقاربة النص وتبيين وظائفه، حيث أرادات هذه الناقدة استبدال مفهوم الجنس بمفهوم النص، وهذا التحوّل في حقيقته هو ثورة ضد الفكر النقدي الذي كان سائدا في فرنسا، وداخل أسوار جامعة السوربون حيث انتفض المثقفون في ماي 1968 ضد ثقافة الامتثال، والتقليدية التي كانت تجسّد نهج "غوستاف لانسون"[39]، وقد «شكلّت خطابا نقديا جديدا، استمدّته من علوم الفلسفة، واللغة والسيميوطيقا والنظرية النقدية والتحليل النفسي»[40]، وتعرّف "جوليا كريستيفا" النص بقولها «إنّ النص ليس مجموعة من الملفوظات النحوية أو اللانحوية، إنّه كل ما ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف طبقات الدلالية الحاضرة هنا داخل اللسان والعاملة على تحريك ذاكرته التاريخية»[41]، كما تعرّفه تعريفا ابستيمولوجيا حيث ترى أنّ النص وسيلة ندمج من خلالها علاقة الكلام الإبلاغي المباشر بالأقوال السابقة، والمعاصرة، حيث تقول «تَحدَّدَ النص كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه»[42]، وقد أفرزت هذه الرؤيا مجموعة من الأدوات الإجرائية التي تُحدّد النص وتسمّيه، وتتمثل في "**ممارسة الدلالة** pratique signifiantes"، و"**الإنتاجية** productivité" و"**الدلالية** signifiance"، و"**النص الظاهر** phéno texte" و"**النص النوعي** Géno texte"، و"**التناص** Intertextualité"، وفيما يلي شرح لكل واحدة:

أ- ممارسة الدلالة: وهذه صفة اكتسبها النص من علم العلامات، فالنص نظام من العلامات في قالب معين، وهذه لا تحدث على مستوى تجريد اللغة بل هي تفاعل وتلاقي بين القارئ والسياق والناص[43]، لأنّ هذه الثلاثية تضمن دائما للنص الديمومة والاستمرارية.

ب- الإنتاجية: يعني مفهوم الإنتاجية تلك الحركة الديناميكية للنص حين يجتمع عليه كل من القارئ والناص أو كل على حدة، فهذه المداعبة والممارسة على الدال تتضمن وجود

إنتاجية في كل ممارسة، وهذا طبعا حين يكون النص لوحة فنية تعتمد المجاز والتخييل، والمراوغة وعدم المباشرة[44]، وعليه تمثّل الإنتاجية ثمرة الالتقاء بالنص.

ج- النص الظاهر والنص النوعي: يمثل "النص الظاهر" الشكل الخارجي للنص حيث يعتبر مدونة مناهج التحليل الصوتي، والدلالي، والبنيوي أمّا "النص النوعي"، فهو على عكس النص الظاهر لأنّه لا يمثّل متنا لغويا مسطّحا، فهو التميّز، والتفرّد في الطرح، ولا يمكن إخضاعه للتحليل النفسي لأنّه خارج عن اللاوعي، وإن تكوّن ممّا يلفظه اللاوعي، فهو جزء من المنطق العام المتعدّد الوجوه، غير المقتصر على ما هو متعارف عليه[45]، وهذان المستويان متكاملان فالظاهر يتولّد من النوعي، والنوعي لا يُدرك إلاّ عن طريق الظاهر[46]، إنّهما وجهان لعملة نقدية واحدة.

د- التناص: يعتبر هذا المصطلح عند "كريستيفا" سمة فارقة في مسارها النقدي، وقد كان لهذا المصطلح خلفيات ابستيمولوجية لعلّ أبرزها "حوارية باختين"، وحقيقة المصطلح هو أن كل نص يعتبر تناصا، أي إنّه نسيج جديد من استشهادات سابقة، فالتناص قَدَرُ كل نص لأن الكلام موجود قبل النص وحوله وهذا القدر يكتبه الناص دون وعي، ولا قصد وللتناص تمظهرات شتى على مستوى الإيقاع أو على شكل صيغ من الكلام الاجتماعي[47]، ويسمي "رولان بارت" هذه العلاقات، واللبنات التي يتشكل النص على إثرها بـ"**الماسلف**" أي ما سلف قراءته وكتابته، ومشاهدته إنّه النص المجتمعي والثقافي[48]، وينتج عن التناص مصطلح "**الإيديولوجيم** idéologéme"، الذي تعرّفه "جوليا كريستيفا" بقولها «إن الإيديولوجيم نص ما هو البؤرة التي تستوعب داخلها العقلانية العارفة تجوّل الملفوظات إلى كل جامع (النص)، وكذا باندماج تلك الكلية في النص التاريخي والاجتماعي»[49]، فهو يمثّل النواة الأولى في تشكيل النص، كما أنّه يبرزه في التناص، وقد انطوت هذه الآليات تحت غطاء منهج تحليلي سمّته "جوليا كريستيفا" بـ"المنهج **السيما تحليلي** semanalyse"، وهو منهج يختلف عن "العلامية الأدبيةla simiotique littiraire" لأنّه يعتمد على التحليل النفسي كمرجع في

القراءة والتأويل، بينما "**العلامية الأدبية**" فتقتصر على تنظيم الملفوظات ووصف وظائفها البنيوية[50]، لذلك فإنّ «العامل الأساسي الذي أثّر على فكر كريستيفا وتحليلها للنصوص الأدبية الطليعية هو التحليل النفسي والاشتباك مع فكر فرويد»[51]، وهذا ما ميّزها في الساحة النقدية.

و عموما فمفهوم النص من هذا التوجه يتّسم بالانفتاح، وكل نص منغلق على ذاته فهو ليس نصا، فالنص ذو مدلول واسع غير محدود بزمان، ولا مكان ولا تنتجه ظروف خاصة، ومعينة بينما "اللانص" فهو نص مناسباتي يموت بموت ظروف إنتاجه، لعليه فـ"الانغلاق ميزة اللانص والانفتاح صفة للنص[52]، كما أنّ الانغلاق قد يعني الحدود البنيوية للنص والانفتاح هو انفتاح على الدلالات هاته التي تجعل النص أرضا لا تبور ومن معانيه أيضا الانفتاح على التعابير المتاحة للناص أو الانفتاح على الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص[53].

ومن هذه التباينات نستحضر قضية "**حدود النص**" أي من أين يبدأ؟ وإلى أين ينتهي؟ ليكون القارئ عريفا، وواعيا بالمساحة التي تستقطب وعيه، وحركية عينيه، ومعرفة ما الذي يحقّق للنص نصيته؟ وهل كل مكتوب يسمى نصا؟

هي جملة من الإشكالات المرتبطة بماهية النص الأدبي باعتباره علامة سيميائية وتصوّر جديد يقول "نصر حامد أبو زيد" «لا شكّ أنّ إطلاق كلمة "النص" على كتاب كامل، كان بداية النقلة الدلالية من المعنى القديم إلى المعنى الحديث والمعاصر»[54]، وهذا المفهوم بدوره يحيل لقضية النسخ والطباعة وفي كلا الحالتين هناك تغييرات دلالية تطرأ على النص لأنّ الخطوط أنواع، وبناء الشكل الخارجي للنص يقتضي ديباجة ومعمارا معينا، وهذا المعمار يوحي بدلالات مختلفة، لذلك سرعان ما ظهر في النقد الاهتمام بما يحيط بالنص من نصوص موازية أو عتبات نصية، وعليه فـ «كل اختيار أو اقتطاع نص، أو طريقة عرض نص تؤشّر إلى دلالته»[55]، هذه الدلالة التي تمرّ عبر مجموعة من الإجراءات تسمى

"**التنصيص** textualisation"، حيث يعرّفه "غريماس" بـ«مجموع الإجراءات التي تنتظم في تركيب نصي وتهدف إلى تكوين تواصل خطابي سابق على الخطاب في أيّة سيميائية (...) وتبعا لذلك يتحدّد النص بالسياق إلى التجلّي الذي يسبقه ويتعيّن به»[56]، وعليه فـ"**التنصيص**" يمثّل نية، وبداية صناعة النص باعتباره مجموعة جمل، وهذا ما يميّزه عن "**النصوصية** textualité" التي تعني التعامل مع النص باعتباره منتوجا مكتملا، وجاهزا[57].

ومن الشروط التي تأذن بميلاد النص أو تحقيق "النصوصية" فيه؛ بدايته ونهايته فالنص ذو بداية، ومجال وسط قد يطول أو يقصر، ونهاية، وهي مكونات يمكن الوقوف عندها منفردة لكن لا يمكن عزلها عن السياق العام للنص، فهي مجتمعة في خدمة النص دلالة وتركيبا[58]، ومن هذا المنطلق «لكلّ ثقافة علاماتها الشكلية الخاصة بالبداية والنهاية، أي معاييرها التي تفتح بها النص، أي تشكّيل النص باعتباره سلعة»[59]، وتبقى هذه المكونات المساهمة في فضاء النص تحت مسمى "العتبات النصية" أو "النصوص الموازية" هاته التي « تعتبر أشكالا تناصية تساهم في تشكيل "**فضاء النص**"، وهي عناصر دلالية لا يمكن تجاهلها أثناء دراستنا لفضاء النص، لأنّها جزء من الدلالة، وعنصر مكمل للمعنى»[60]. وهذه المكوّنات تفتح المجال على التشكيل البصري، والرسوم المصاحبة للنصوص والمكمّلة لها والتي تشتمل على وظائف إيجابية في مقاربة النصوص يقول "محمد مفتاح" «فإنّ المرسوم نسق تعبيري قائم الذات توظّف آليات الإبصار لإدراكه الموجودة في مجال ما في الدماغ، وآلة الإبصار أساسية في تحصيل المعرفة ولذلك تحتل التعابير اللغوية البصرية حيّزا من اللغات الطبيعية»[61]، ومن هنا يميّز بين خمسة مصطلحات، هي **النص، اللانص، الشبيه بالنص، النصنصة والتناص** وكلّها أشكال مختلفة للمكتوب وغير المكتوب، فليس كل مكتوب نصا، فمقياس **النص** هو تلك العلاقات من اتساق وانسجام على المستوى المعجمي، والنحوي والدلالي والتداولي في زمان، ومكان معينين، أمّا "**اللانص**" فهو الذي خلا من هذه العلاقات كما إنّه غير مكتوب إنّه نص كوني وطبيعي، أمّا **الشبيه بالنص**، فيشمل الأحلام،

واللوحات التشكيلية، ومختلف الأيقونات لأنّها تشتمل على نظام معين وتحكمها علاقات أي إنّ **الشبيه بالنص** غير مكتوب، وعلاقاته مستنبطة شأنه، شأن "**اللانص**" أمّا "**النصنصة**" فهو تعبير يدل على المبالغة لأنّ تركيبة هذا النوع معقدة، فهي مزيج بين المكتوب، والمرسوم، والبياض حيث إنّ لهذه العناصر كلها دلالات، وقصد معين، أمّا "**التناص**" فهو تفاعل، وتداخل، وعالق بين النصوص داخل نص واحد [62]، هو الحاضر وهم الغائبون ولا يمكن حضورهم إلاّ عن طريق التأويل والقراءة.

4- الخاتمة:

- يأخذ مفهوم النص في الثقافة اللاتينية معنى النسيج في بناءه الشكلاني ومعنى الوثاق في مضمونه وعلاقاته الموضوعاتية.

- ارتبط مصطلح النص في بداياته الاستعمالاتية بالدين والكتاب المقدس.

- توسع مفهوم النص الأدبي حين ارتباطه بالمناهج النسقية في النقد حيث توسع مفهومه وتعددت دلالاته ومجالاته.

- للاهتمام بالنص علاقة بالانتقال المنهجي من الجملة إلى النص عبر اللسانيات النصية.

- للنص الأدبي مميزات وخصائص تميزه عن باقي النصوص نحو : التعبير، التحديد، والخاصية البنيوية.

- لمقاربة النص الأدبي جملة من الآليات نحو الاتساق، الانسجام، والقصدية والقبول.

- يستدعي فهم النص فهما أعلى وفهما أدنى مما يفرز أنواعا شتى للنصوص نحو النص الواضح والنص البيّن والنص الظاهر والنص المحتمل والنص العمي.

- من استراتيجيات قراءة النص ; الاستراتيجية التصاعدية، الاستراتيجية التنازلية، الاستراتيجية الاستكشافية، والاستراتيجية الاستقياصية.

الهوامش:

[1]– محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، و مجالاته التطبيقية، الدار العربية للعلوم ناشرون، الإختلاف – الجزائر– ط1، سنة 2008ص19.

[2]– محمد مفتاح، المفاهيم معالم، و مجالاته التطبيقية، الدار العربية للعلوم ناشرون، الإختلاف – الجزائر– ط1، سنة 2008ص16–17.

[3] – بول آرون وآخرون، معجم المصطلحات الأدبية، تر: محمد حمود، مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2012، ص1180.

[4] – الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1993،ص12–13.

[5]– بول آرون وآخرون، معجم المصطلحات الأدبية، ص1181.

[6] – رولان بارت، نظرية النص، ضمن كتاب "آفاق تناصية والمنظور"، تر: محمد خير البقاعي، جداول للنشر والترجمة، ط1، لبنان، 2013، ص38.

[7]– حسين خمري، نظرية النص، "من بنية المعنى إلى سيميائية الدال" الدار العربية ناشرون – الجزائر– ط1، سنة 2007ص363.

[8]– رولان بارت، نظرية النص، "من بنية المعنى إلى سيميائية الدال" الدار العربية ناشرون – الجزائر– ط1، سنة 2007ص37.

[9]– المرجع نفسه،ص37.

[10]– حسين خمري، نظرية النص، ص54–55.

[11]– المرجع نفسه: ص 18

[12]– نقلا عن: أحمد عفيفي، نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، مصر، 2001، ص32–33.

[13]– حسين خمري، نظرية النص، ص24.

[14]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري–القاهرة–دار الكتاب اللبناني– بيروت– ط1، سنة 2004.ص293.

[15]– أحمد عفيفي، نحو النص، "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، مكتبة زهراء الشرق،القاهرة–مصر–ط1،سنة 2001 ص55.

[16]– حسين خمري، نظرية النص، ص27.

[17]– صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، ط2، المغرب، 2013، ص127.

[18]– حسين خمري، نظرية النص، ص22.

[19]– نقلا عن: محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ص63.

[20]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص273.

[21]– نقلا عن المرجع نفسه، ص131–132.

[22]– جان ماري سشافر، النص ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، تر: منذر عياشي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء – المغرب– ط1،سنة 1995ص139.

[23]– المرجع نفسه، ص132–135.

[24]– حسين خمري، نظرية النص، ص59.

[25]– رولان بارت، التحليل النصي "تطبيقات علي نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة"، تر: عبد الكبير الشرقاوي، مطبعة النجاح الجديد، (د ط)، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص77.

[26]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص260.

[27]– بول آرون وآخرون، معجم المصطلحات الأدبية، ص183.

[28]– محمد مفتاح، المفاهيم المعالم، ص28–29.

[29]– بول ريكور، من النص إلى الفعل "أبحاث التأويل" تر: محمد برادة، حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2001، ص58.

[30]– المرجع نفسه، ص87.

[31]– المرجع نفسه، ص85.

[32]– زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص "مشكلات بناء النص"، تر: سعيد حسين بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، (د ط)، القاهرة، 2003، ص83.

[33]– المرجع نفسه، ص83.

[34]– محمد مفتاح، المفاهيم معالم، ص148.

[35]– المرجع نفسه، ص147–148.

[36]– زتيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص،ص83.

[37]– محمد مفتاح، المفاهيم معالم، ص33–34.

[38]– زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص،ص56.

[39]– حسين خمري، نظرية النص، ص56.

[40]– حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2009، ص112.

[41]– جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ص14.

[42]– المرجع نفسه، ص21.

[43]– رولان بارت، نظرية النص، ضمن كتاب: أفاق تناصية، ص46.

[44]– المرجع نفسه، ص47.

[45]– لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، يروت، لبنان، 2002، ص128.

[46]– حسين خمري، نظرية النص، ص237.

[47]– رولان بارت، نظرية النص، ص52.

[48]– رولان بارت، التحليل النصي، ص14.

[49]– جوليا كريستيفا، علم النص، ص22

[50]– رولان بارت: نظرية النص، ص63.

[51]– حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، ص115.

[52]– حسين خمري، نظرية النص، ص59.

[53]– المرجع نفسه، ص59.

[54]– نصر حامد أبوزيد، النص، السلطة، الحقيقة، ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء – المغرب– ط1،سنة 1995ص159.

[55]– بول آرون وآخرون، معجم المصطلحات الأدبية، ص1182.

[56]– نقلا عن: حسين خمري، نظرية النص، ص52.

[57]– المرجع نفسه، ص52.

[58]– الأزهر الزناد، نسيج النص، ص43.

[59]– حسين خمري، نظرية النص، ص104.

[60]– رولان بارت، التحليل النصي، ص82.

[61]– محمد مفتاح، المفاهيم معالم، ص188.

[62]– المرجع نفسه، ص39.

6. قائمة المراجع:

- ✓ أحمد عفيفي: نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، مكتبة زهراء الشرق،القاهرة–مصر – ط1،سنة 2001
- ✓ الأزهر الزناد: نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1،سنة 1993
- ✓ بول آرون و آخرون: معجم المصطلحات الأدبية، تر: محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، النشر و التوزيع ، بيروت – لبنان– ط1 ، سنة 2012
- ✓ بول ريكور:من النص إلى الفعل"أبحاث التأويل"تر:محمد برادة،حسان بورقية،عين للدراسات و البحوث – القاهرة– سنة 2001
- ✓ تون فان دايك: علم النص "مدخل متداخل الاختصصات ، تر : سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب – مصر – د ط ، سنة 2009
- ✓ جان ماري سشايفر.النص :ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص:منذر العياشي ، الانتماء الحضاري ،حلب_سوريا د ط، سنة 2009
- ✓ جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال–الدار البيضاء، ط2، سنة 1997
- ✓ حسين خمري: نظرية النص "من بنية المعنى إلى سيميائية الدال" الدار العربية ناشرون – الجزائر – ط1، سنة 2007

- ✓ حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد النسوي و ما بعد النسوية، منشورات الاختلاف–الجزائر– ط1، سنة 2009
- ✓ روبرت دي بوجراند :النص و الخطاب و الاجراء،تر،تمام حسان .عالم الكتب ، القاهرة –مصر– سنة1998
- ✓ رولان بارت:التحليل النصي" تطبيقات علي نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة" :تر: عبد الكبير الشرقاوي،مطبعة النجاح الجديد–الدار البيضاء –دط_سنة 2001
- ✓ رولان بارت: نظرية النص، ضمن كتاب"آفاق تناصية" " المفهوم و المنظور"،تر: محمد خير البقاعي، جداول للنشر و الترجمة، لبنان، ط1، سنة 2013
- ✓ زتسيسلاف واورزنياك: مدخل إلى علم النص"مشكلات بناء النص "تر"سعيد حسين بحيري ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع –القاهرة– ســنة 2003
- ✓ صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق–المغرب– ط2، سنة 2013
- ✓ صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص، دار الكتاب المصري–القاهرة–دار الكتاب اللبناني– بيروت– ط1، سنة 2004.
- ✓ عثمان أبو زنيد : نحو النص " إطار نظري ودراسات تطبيقية " ،عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن – ط1، سنة 2010
- ✓ لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون–بيروت–لبنان– ط1 سنة 2002
- ✓ محمد الأخضر الصبيحي : مدخل الى علم النص، و مجالاته التطبيقية، الدار العربية للعلوم ناشرون، الإختلاف – الجزائر– ط1، سنة 2008.
- ✓ محمد مفتاح : المفاهيم معالم"نحو تأويل واقعي"، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء – المغرب– ط1، سنة 1999.
- ✓ نصر حامد أبو زيد: النص،السلطة،الحقيقة،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء – المغرب– ط1،سنة 1995